٤٩٢٤

مكتبتي ٨

أنت كم تساوي

وقصص أخرى

بقلم : عبد التواب يوسف
رسوم : منى جامع

دار المعارف

تصميم الغلاف

محمد أبو طالب

الناشر : دار المعارف ١١١٩ شارع كورنيش النيل ج . م . ع .

أرجُوكَ ألاَّ تغْضَبَ منِّى.. لسْتُ أنَا صاحب هَذا السّؤال وإنَّما صاحبُه هُـو، أستَاذُ عُلُومٍ جَليل، وضَعَهُ علَى غلاَفِ كتَابٍ عنوانًا، وهُوَ لمْ يكُنْ يقْصِـدُ قَـطُّ أنْ يُهينَ القَارئَ، بلْ إنَّه كَانَ يقُولُ لنَا إنَّ الإنسَانَ يَتكَوَّنُ مِنْ مَاءٍ قـدْرُه كَـذَا، وَبـهِ معَادِنُ قَدرهَا كَذَا.. وكَانَ يتَّخِذُ مـنَ السُّؤالِ هـذا وسيلة لمعْرفَـة تكويـن جِسْـمِ الإنْسَان، وبالأسعَار التَّى كانَتْ سائِدَةً أيَّامَهُ، حسِبَها بدقَّةٍ شَدِيدَةٍ إذَا مَا تَم بيْعُ هَذِه المُكونَات فَى السُّوق.

فإذَا بالإنْسَان يُسَاوى يَوْمئِذٍ نحوَ سَبْعِين قِرشًا على ما أذْكرُ..

و «ممدُوح» صَديقنا الصَّغيرُ غَضِبَ بشِدَّةٍ، عنْدمَا طَرَحنَا علَيـهِ هـذَا السُّؤال، وقَال: هذَا سؤالٌ كانَ يُمكِن أنْ يُوجَّه إلَىَّ فى عصْرِ الرَّقِيق وَبيْع العَبيـدِ، حـينَ كَانُوا يصْطَحِبُون «العبد» وَ«الجَارية» إلَى الأَسْوَاق فَهُو يسَـاوى الكثـيرَ إذَا كَـانَ قَوِيًّا، كَثُور، وَمِنَ المُمكن أنْ يديرَ السَّاقِيةَ، ويَعْمَـلَ لَيْـلَ نَـهَار، دُونَ أنْ يُكلِّـفَ صَاحِبَه أكثَرَ مِنْ طَعَامِه، وَمكَان فى الحَظِيرَةِ، كَـى ينَـامَ فِيـه، أمَّـا هِـىَ، فَـإنَّ ثمنَهَا يتَحَدَّدُ علَى أسَاسِ جَمَالهَا، ومظْهَرِها، وقُدرَتِها علىَ العَزفِ علـىَ العُـودِ والغِنَاءِ، وأيضًا على بَراعتها فِى المُسَامَرةِ والأُنْس، وما إلَى ذَلِكَ.. أمَّا الآن، بعد أنْ ألغَـتِ الإنسَـانيَّةُ هـذَا النَّـوعَ مِـن التِّجَـارةِ الْحَقِيرةِ تِجَـارة الإنسَـان بأخِيـهِ الإنْسَان، فإنَّنى أرْبأُ بكُم أنْ تطرحُوا مِثْل هَذَا السُّؤال المُهين: أنْتَ كَمْ تُسَاوى؟. لأنكُم بذلكَ تَغْفلـونَ عَن تِلكَ الآيةَ الكَرِيمةَ التى تقول: ﴿وَلَقَدْ كرَّمنا بنى آدَمَ﴾.. لأنه قَبل تَحمُّل المْسئوليَّة الَّتـى رفَضَتْـها الأَرضُ والْجِبـالُ والسَـمَاوَاتُ.. إنـه خَلِيفة اللهِ علَى هذِهِ الدُّنيا..

قالَ وَالِدُ ممدُوحٍ وهُو.. يُهْدأُ من أنفِعَال ابنِه الوَاضِح:

– لاَ عليْكَ يا بُنىَّ سأقُصُّ عَلَيْك قصةً طَرِيفةً كَان بَطَلُـهَا جُحَـا حِـينَ سَـأله السُّلطَان: أنَا.. كم أُسَاوى؟.. وضَحِك جُحَا وهُوَ يَتَطَلَّعُ إليْه فَاحِصًا..

– تُسَاوى ألفَ دينَار..

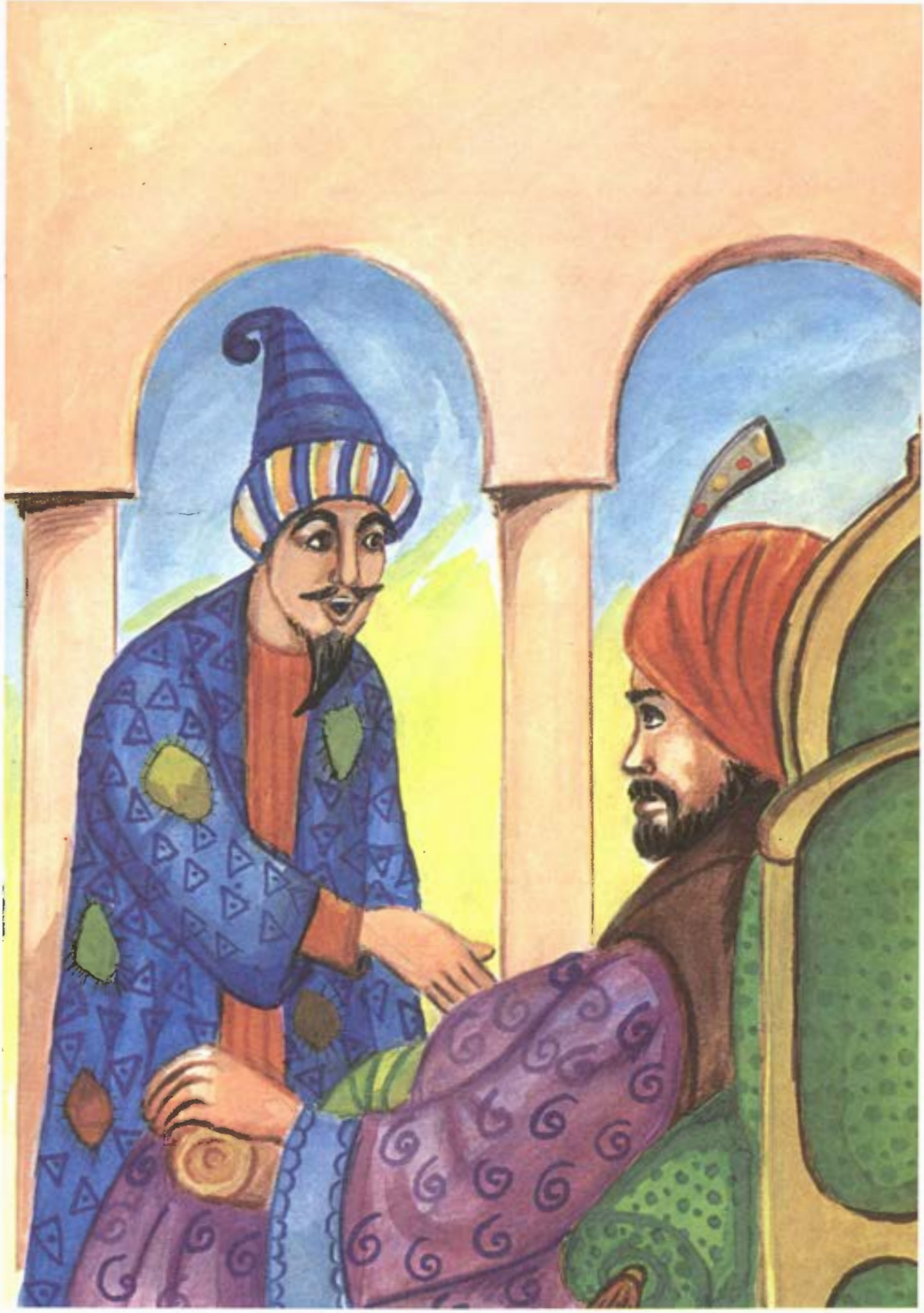

قَالَ السُّلطانُ بِغَضَبٍ: أَلْفَ دينار؟ إنَّ ثيَابى وحدَها ثَمَنُها ألفَ دِينَار.. ألاَ تَعْرِفُ هَذَا؟.

– أعرفُه عنْ يقين يا مَوْلاى..

– كيْفَ تقُولُ إذَنْ إنىِّ أسَاوى ألفَ دِينَار؟.

– أنتَ يامَوَلاىَ سَألتَنِى، وَأنَا أجَبْتُ..

- أليست لى قيمة على الإطلاق؟.

- قال ممدوح وماذا فعل السلطان مع جحا؟!.

قالَ الأَبُ:

– ليْسَ مُهمًّا أنْ نعرفَ ما فعَلَهُ السُّلْطَانُ معَ جُحَا أوْ بـه، ولكِن اسْمَعْ يا ممدوْحُ قصةً أخْرىَ لسُلطَانٍ آخر مع أحد الفَلاَسِفَةِ حِينَ سَأل الفيلسوفُ السُّلطَانَ..

– كَمْ تُعْطِى مُقَابِلَ كُوبِ ماءٍ وَأنْتَ عَطشَانْ فِى قَلْبِ الصَّحرَاءِ؟.

– نِصْفَ مَا أملِكُ..

– وَكم تُعْطِى إذَا انْحَصَرَ فِى جَسَدِكَ، لِمَنْ يُخَلِّصُكَ مِنْهُ؟.

– النِّصْفَ الآخَر..

قَلَ الرَّجُلُ: إذَنْ، أنتَ لاَ تُسَاوى أكْثَرَ مِنْ كُوبِ مَاءٍ.

قَال رَجُل أعْمالٍ صَديقٌ لِوالدِ ممدُوح كانَ جَالسًا فى هذه الجلْسَةِ الحِوَارية الطَّريفَةِ:

– فِى هذَا الزَّمن: إذا كَانَ مَعك قِرشٌ، فأنْتَ تسَاوِى هذَا القِرْش، لا أكثر ولاَ أقَل..

وأدَار ممدُوحٌ فى رأسِه هَذِه الكلِمَات، وسأَل نفْسَهُ:

- تراه ثمنًا «عَادِلاً» و «معقُولاً» و «مقبُولاً»؟.

وَرَاح يُفكر ..

– إذا لمْ يكُنَ مَعى قرشٌ، أنا لاَ أسَاوى شيئًا؟.

ماذا لوْ أنَّنى مَدِينٌ بقرْش؟!!.

– وَإذا ما كانَ مَعِى «مِليُون بَاكُو» كما يقُول رَجُلُ الأعمَال صَدِيقُ والدِى هـذا فأنا أسَاوى « مِليُون باكُو»..

تُرى كمْ كَان مَع بلال، وأسامةَ بن زيْدٍ؟ وكمْ يسَاوى خَالدُ بـنُ الوليـدِ وسـعْدُ بنُ أبى وَقَّـاص؟..ولْيغفِـر لِـىَ اللهُ هـذا الخـاطِرُ السَّـخِيف.. ولْيُسَـامِحْنى رجُـلُ الأعمال إذا سألْتُه: كمْ يسَاوى رَئِيسُ جمْهُورية أمِينٌ على مـال شـعْبه، وَرئِيـسُ وُزَراء نَظيفُ اليدِ، وَوزيرٌ طاهُر الذِّمة، ورجل أعمالٍ يخْشَـى اللهَ، وكَـم يُسَـاوى شَهيدُ أكْتُوبر؟..

وَذَات يَوْمٍ قرأ ممدوحٌ قصَّةَ عالِم مسْلِم، اسمه «العزُّ بنُ عبْدِ السَّلاَم».. عندمـا اسْتَوْلَى السَّلطَان عَلَى الحُكْمِ بحَدِّ السيْفِ، حين قالَ العَالمُ..

– هذَا الرَّجُلُ لاَ يحِقُّ لَهُ أنْ يحْكُمنا..

هَمَسُوا فِى أذنهُ: اسْكُت، وَإلاّ.. ..

– لَنْ أسكتَ.. هذَا الرَّجُل عبدٌ ولا حقَّ لِلعَبْدِ أنْ يحْكُم الأَحْرَارَ..

كَادُوا أن يضَعُوا أيدِيهُم علَى فَمِه، كى لا يتَكلَّم.. لكن رجلاً سألهُ..

– كيفَ نُصحِّح هَذَا الوضْع؟.

– اذْهَبُوا بالسُّـلْطَان للأسـواق، وأقيمُـوا عَليْـه مَـزادًا، فـإذا اشـترَاه أحَدُهـم، وأعتقَه، يُمْكِنُه بعدَها أن يتولَّى الحُكْمَ..

– أنْتَ جُنِنت يَا رَجُل..

ويفكِّرُ ممدوحٌ: كم دَفَع «رجلُ الأعمال» الذى اشْترى السُلطَانَ؟ وكم دفَع لَـهُ «السُلطَانُ» مقابل أنْ يعْتِقَهُ؟..

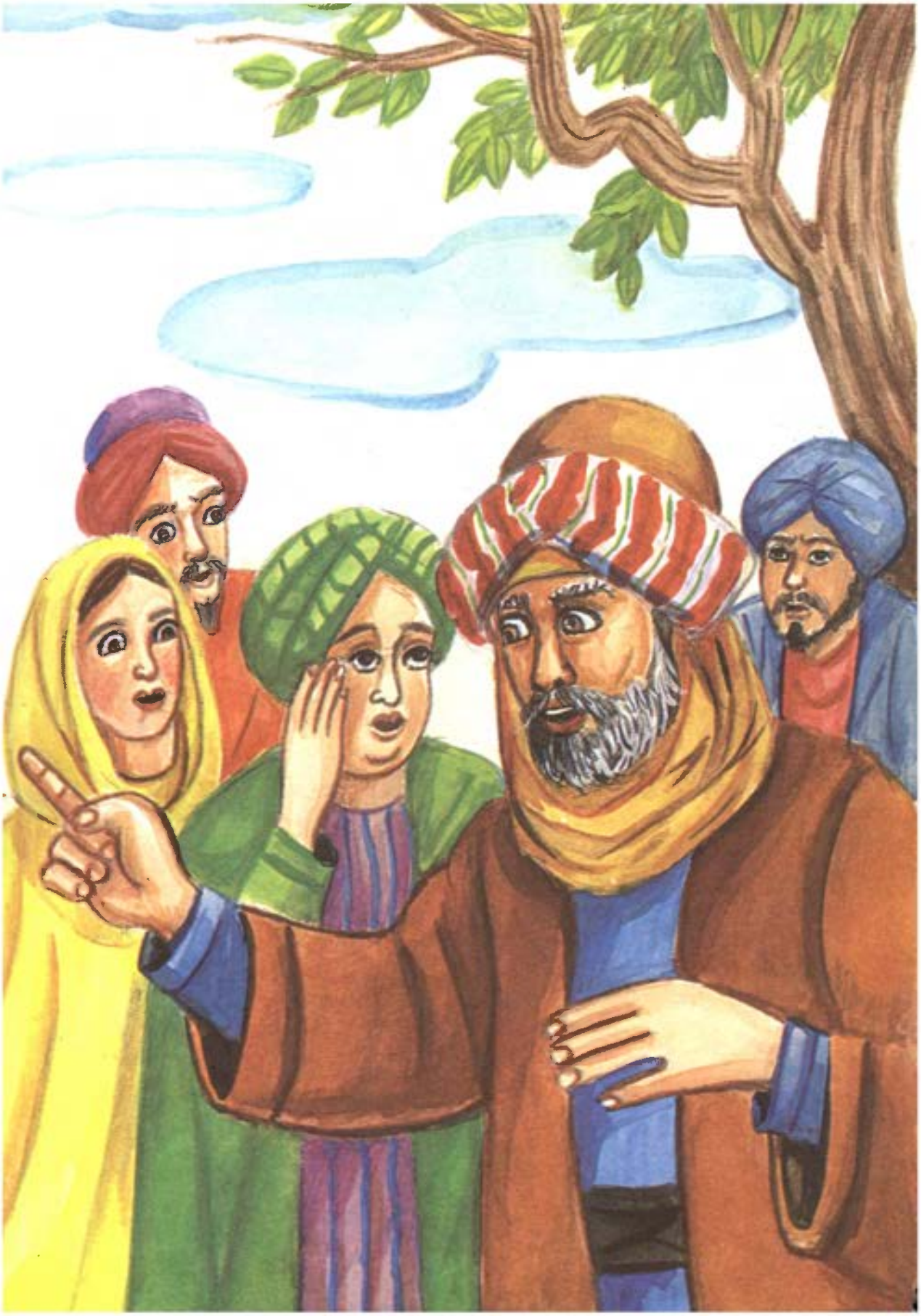

وسألَ ممدوحٌ نَفسُه سُؤالاً آخر، فى منتهى البَسَاطَةِ.. وأنَّب نفْسَه علَيْهِ، وَوخَزَهُ ضَميرُه بقُوة وعُنْفٍ، كانَ السُّؤالُ هُو: كم يسُاوى رجُلٌ مثلَ «العِزِّ بن عبْدِ السَّلامِ» فِى سُوق المالِ فى نُيويورك «وول سْتِريت»، وكم يساوى فِى بورصِتِها؟..

هل أدركت لماذا سألتك ألا تغضب لهذا السؤال؟..

ووجَد ممدوحٌ نفسَهُ يُردِّد هذِه الآية الكريمةَ:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اللبلابة والسنديانة

إذا كان فى استطَاعتِكَ أن تكـونَ سِنديَانة فلمـاذا ترْضَـى لِنفْسِـك أن تُصْبـحَ لَبْلاَبًا؟!.

والسنديانة، شجرة ضخمة راسخة، عميقة الجذور فـى الأرض.. أمـا اللَّبلابـة فهى نباتٌ متسلقٌ، يلتفُّ ويعتمدُ علَى الآخر، وهذه القصَّة من وحْيِ زَميلٍ رأى أن يْجعَل مِنْ نفسِه لِبلابة متسلقةً، وكثيرًا ما تساءل كلُّ منْ حوْله: «هـو قـادرٌ علَى أن يكُون غيرَ هذا».. لكنَّه يبدُو أنهُ لابدَّ من حدثٍ كبيرٍ، يَنْعطِـفُ بـه إلى طَرِيقٍ آخَرَ..

عندمَـا دخَلِـت المعلِّمـةُ حجْـرة الدِّرَاسـةِ، وجدَتْـها فِـى أبـهىَ زينَـةٍ.. أورَاقٌ مفَضَّضـة هُنَـا وهُنَـاك، بالوُنَـاتٌ ملَّونـةٌ مصَـابيحُ صَغِـيرةٌ مُضائـةٌ، تطلَّعَـت إلى تلميذاتها وتلاَميذِهَا، وسألتْ..

– منْ قامَ بكُلِّ هذَا؟.

سادَتْ لحظَةُ صْمتٍ قَصِيرَةٌ، قبلَ أنْ يرتفع صوْتُ علاَء..

– أنَا..

تبادَل الجَميعُ النَّظرات فِى دهْشةٍ، وصَلت إلىَ حَدِّ الذُّهُول..

وَمِنْ جَديدٍ سألَت المعلمةُ علاَء فى صْوتٍ يشِفُّ عَن اللَّوْم:

– وحْدَك؟.

سكت قليلاً قبلَ أنْ يقول فى كلماتٍ مبتُورةٍ..

- نـ.. نَعَم.. تَقْـ.. تَقرِيبًا..

- ألمْ يعَاونْكَ أحَدٌ؟.

- كلَّهُم تخلَّوْا عَنِّى وتركُونِى..

كانَتِ المعلِّمةُ قدْ سألتْهُم أنْ يشاركُوا فِى تزيين الفصْل بمنَاسبة يحْتفِلوُن بهَا، وَعلاءُ هُو المُقرَّب إليْها، والمُدلَّلُ عندَها، تراه ألطْفَ الأطفَال، وأكثرَهُم اسـتَجابةً لِما تَطْلُبْ، بلْ هُو يبادِرُ بأشياءَ عديدةٍ لاسـترضَائِها، ويقـدم خَدماتـهِ مُتطوعًـا، ولكنه لمْ يكُنْ متقدمًـا فِـى درُوسـهِ، ولا متفوقًـا فـى أىِّ نشـاطٍ ريـاضِىٍّ أوْ فَنـىٍّ أو أدَبى..

فمثلاً ما إن تدْخُل المعَلمة حتىّ يسارعَ بمَسْحِ السبورَةِ، وأحيانًا يقدم لَها ورقة صَغِيرةً مطوَيةً، وينْهض عنْها بعِبءِ توزيع الكرَّاسات على زملاَئِه، وفى نهَايـةِ الحصَّة يجْمعهَا منْهمُ، ويحْمِلها مِنَ وَرَائِها إلى حُجرةِ المعَلمّاتِ، ولم تكن المعَلمة راضيةً كلَّ الرِّضَا عن تصرفاتـه هـذه، التـى فرضَـها فرضًـا، غـير أنـها تقبلتْـهَا لحَاجَتها إلىَ من يُساعِدُهَا، وشيئًا فشيئًا صار الأمْرُ عاديًّـا، تقليديًّـا، وطَبيعيًّـا، وإن تهامسَ زُملاءُ علاَءٍ، فيما بيْنَهُم، وكان لاَبدَّ وأنْ يختَارُوا له صفـةً، ولقبًـا، يتندَّرون به، ويتناقلوُنهَ ضَاحِكين، وهم حَريصون كلَّ الحِرص علَى ألاَّ يَصِل إلى أُذُنَيْه، أو إلىَ مسامع المعَلمة.. فِى البداية طرحت بعض العِبَاراتِ..

- «دَلُّوعةً» أبلَه عفاف..

- البُوبى المُدَلَّل..

كانت كلُّهَا قاسِيةً، وجَارحةً، أشْفقُوا عليْهِ مِنْهَا، واكْتفَوْا فِى النهَايةِ بعبَـارةِ «عـلاَء / ولاَء».. أعْجَبـهُم وقْعُـهَا، ونغَمتـهَا، فصَـارُوا يتنَاقلوُنـهَا سِرًّا بعـضَ الوقْتِ، ويُردِّدونهَا إلى أنْ التَصقَت بألْسِنتهِم،ولمْ يكُن ميْسورًا أنْ تظَلَّ فِـى طـى

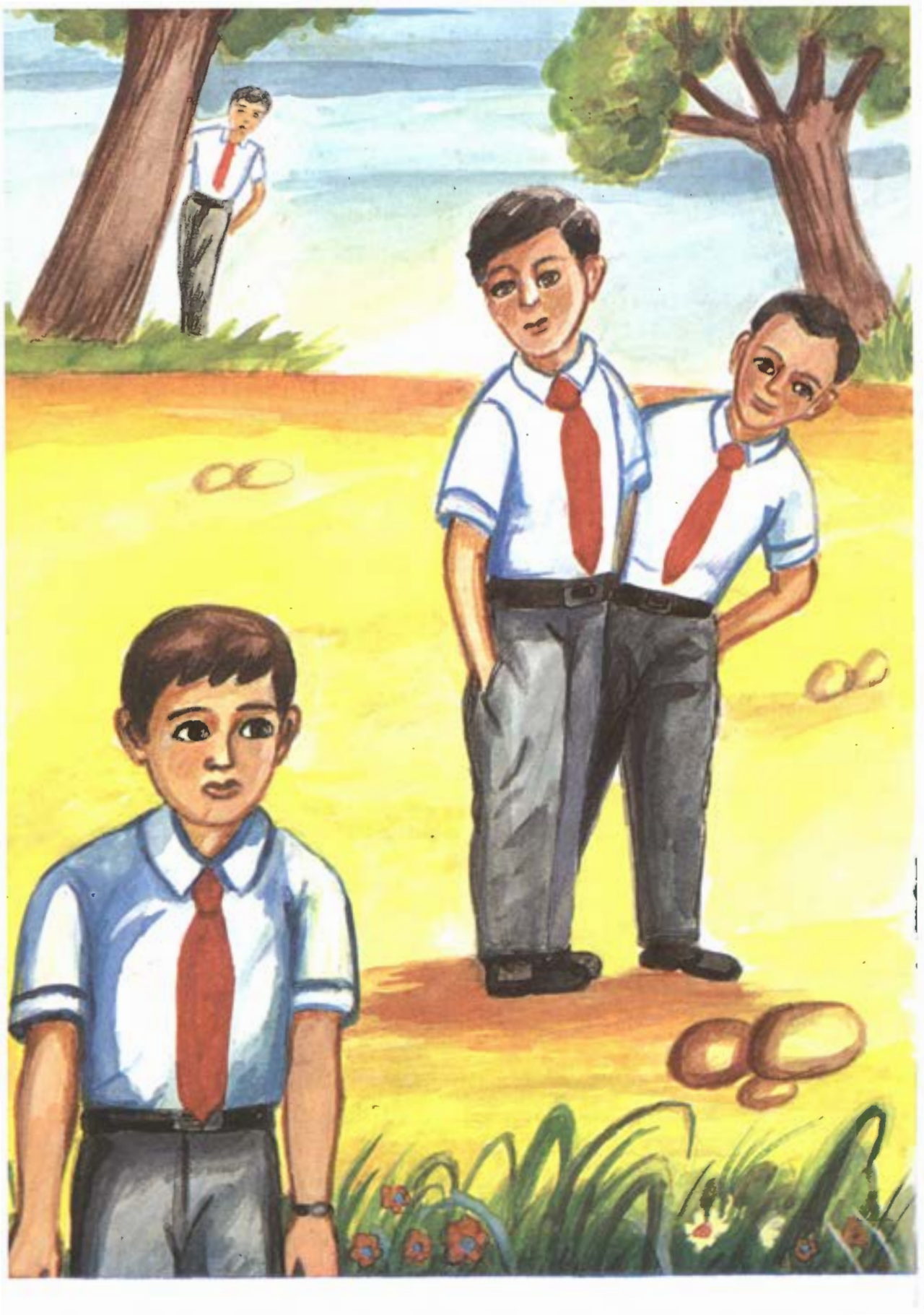

الكتمَانِ إلىَ الأبدِ، وعلمَ بهَا صَاحبُهَا، ولم يبالِ كثيرًا أو قليلاً، واستمرَّ فى أداءِ الدَّوْرِ الذى رسمَه لنفْسِه، وأصْبحَ مِن الصَّعْبِ تَغييرهُ..

لم يعُدْ أحدٌ يسَمى عـلاءً بغـيْر «ولاَء»، التـى انتشـرَت حتـى ظنَّـها البعْـضُ تَدليلاً، فى حين كانتْ نقدًا صريحاً وعنيفًا، لتلـكَ التصرُّفَـاتِ التـى يَقُـومُ بـهَا ويرفضُها الْجَمِيعُ، وهُو غَيْرُ قادر علىَ الكفِّ عنها.. لكنَّ الذِى حدَث فجْـأةً أن تَركَتِ السيدَةُ عفافُ المدرسةَ، وجَـاءَ مُعلـم آخـرَ، بديـلاً لهَـا.. ومنـذُ البدايَـةِ، عندما حاوَلَ علاءٌ الاستمرَار فِى طريقَتِه، رفَضَ الأسْتاذُ عبدُ الوهابِ ذَلِك رفضًـا باتا.. هو لاَ يقبلُ قَطُّ أنْ يحْملَ أحدٌ عنهُ الكرَّاسَاتِ، مردِّدًا حديثًا شريفًا معنـاهُ (صَاحِبُ الشىءِ أحَقُّ بِحَمْلِهِ).. أمَّا مسْحُ السبُّورةِ فقَال عنْه ما كانَ جيلُه يتنَاقلهُ (حِجَّةُ البليـدِ، مسـحُ التخْتَـةِ).. وعندمَـا سلَّمه «عـلاَء ولاَء» الورقـة المطويَـة، فتحَها أمامَ الجميع وقرأ ما فيها مما جعَل وجهُ «علاءٍ» فِى لوْن عبَّـادِ الشَّـمْس الأصْفَر.. وكانت فضيحـة مدَوِّيـة، إذْ عَلِـم زمـلاؤُه لأول مـرَّةٍ مـاذَا كـانَ يكتُـبُ عنْهم؟.. لقَد أغفلَت أبله عفَاف هذِه الأوراقَ، ولم تكن تفتحُهَا أو تقرؤُهـا، بـل كَانت تُلقِى بهَا إلى سلَّةِ المهمَلاَتِ، ونبهتْهُ أكثرَ منْ مرَّة إلى أن يكفَّ عنَها، ولمْ يرتدِعْ، وها هُوَ يحاولُ فيلْقَى ليسَ مجرَّد الصدِّ - ولكن ما هُو أكثرُ منْ هـذَا، لذلك أضِيفَت كلمَةُ «الفتَّان» إلىَ لقَب «وَلاَء» ممَّا جعَله لاَ يَسْتَطِيبُ البقـاءَ فِـى المدرسَة، غير أنَّ الأستاذَ عبدَ الوهاب طلَب من تلاَميـذِه موضوعًـا فِـى التعْبـيرِ عنوانه (الإنْسانُ والشَّجَرةُ).. وحدَّثهم فِيه وحولهُ لِيُيَسِّر لهُم كتَابتَهُ.. فقال :

- أطْلِقوُا العنانَ لخيَالِكم.. إذا أراد أحدُكم أن يكون شجرةً، أيّها يخْتَارُ؟!..

وبدأتِ الإجاباتُ تأتيهِ من كلِّ أرجاءِ حجرةِ الدراسَـةِ.. هنَـاك مـنْ يريـدُ أن يكونَ شجرةً تفَّـاحٍ، أو برتقـال، أوْ.. ، أوْ.. وهنَـاك مـنْ يرغَـبُ فـى أنْ يكـونَ شجرةَ شربين، أو بلُّوطٍ، أوْ أرْزٍ كالتى تنتشر فِـى لبنـان.. وهنـاكَ مـنْ أرَاد أن يكوُنَ شجرةَ نبْقٍ فِى الصَّحراء، أوْ صفْصَافـةً علَـى النيِّـلِ، أو شـجرةَ زينـةٍ فـى

شوارعِ المدِينَةِ.. وكانتْ مفَاجَأةً من (علاَء) حِينَ طالبهُ المعَلِّم بضـرورَةِ المشَـاركَةِ، أنْ يقُولَ..

– أنَا أُحِبُّ شجَر اللِّبلاب.. إنه جَميلٌ، ويمكن أنْ يغطِّى واجهةَ بيْتٍ، وأنْ يصعدَ لِيزَيِّنَ الجدْران، و..

وعقب الأُستاذ عبدُ الوهابِ..

– لا اعتِراض لنَا قَطُّ علىَ كـل من يختـار لنفسـهِ دوْره.. فـى الحيَـاةِ، وأى شجرةٍ يُحبُّ أنْ يكونَ.. لكنَّ اللبلابَ نـوعٌ مـنَ الأشـجار لا يسْـتطِيعُ أن يعتمِـد علَى نفْسِه فى النموِّ.. هو فِى حاجةٍ دائمةٍ لمن يستَنِدُ لَـهُ، ويضْطَـرُّ إلى تَسَلّقِهِ، ولقد رأيْتُ لبلابًا يلتـف حـولَ شجرةٍ، وقيـلَ لِـى إنـه حَجَـب عنْـها الشـمْس والهَواءَ، الأمرُ الَّذِى أصابها بخَلَلٍ دَاخِلِى، وقيـلَ إنـها سـقَطَت، وسـقَطَ معَـها اللِّبْلاَبُ..

واستمرَّت مناقشَةُ موضُـوعِ التعْبِـير طَويـلاً، تمْـهيدًا لكـى يَكْتُـبَ كـلُّ طـالبٍ موضُوعِ التَّعبير فِى بيْتِهِ:

كأن زلْزالاً قدْ ضربَ بعُنفٍ شَديدٍ علَى «علاَء».. لقد عـادَ إلَـى بيتـهِ وَرأسُـه تَدُورُ، وبدَأ يتنَبَّه لِهذَا اللقَبِ الذى أطْلَقه عليْهِ زملاَؤُهُ، وفهم أبعَادَه، وأدرَك ما قَصدُوهُ.. كمَا أنَّ رفضَ الأستاذِ عبدِ الوهابِ لأسلوبهِ قد أحـدَث جرحًـا عميقًـا، وغائرًا، فِى نفْسِهِ.. أهو سَيِّئٌ لهذَا الْحَدِّ؟..

أهُو مخْطِئٌ إلَى هَذِه الدرَجَةِ؟!.. قال لنفسه..

– نَعَم، يجـب أنْ أعـترفَ.. والرجُـوع إلَـى الحـقِّ خـيرٌ مـن التمَـادِى فِـى البَاطِل.. لقد أسأتُ ليسَ إلى زملاَئِى فحسْب، بل وإلى نفْسِى أيضًا.. وقرر أنْ يختَار لنفْسِه نوعَ العقُوبَةِ، كنوْعٍ منَ التَّطهر.. والتكْفير عن الخطـأ، ووجَـد فِـى «النقد الذاتى» فرصَةً مناسبةً للتنْفِيس عنْ نفْسِـه وتعدِيـل مسَـاره.. ووجـدَ فـى موضوع التعْبير مجالاً معقولاً ومقبولاً لممارسَةِ ذَلك، وليسَ لمجرد: العقَاب واللَّوم والتأنيبِ، بل للعِلاَج..

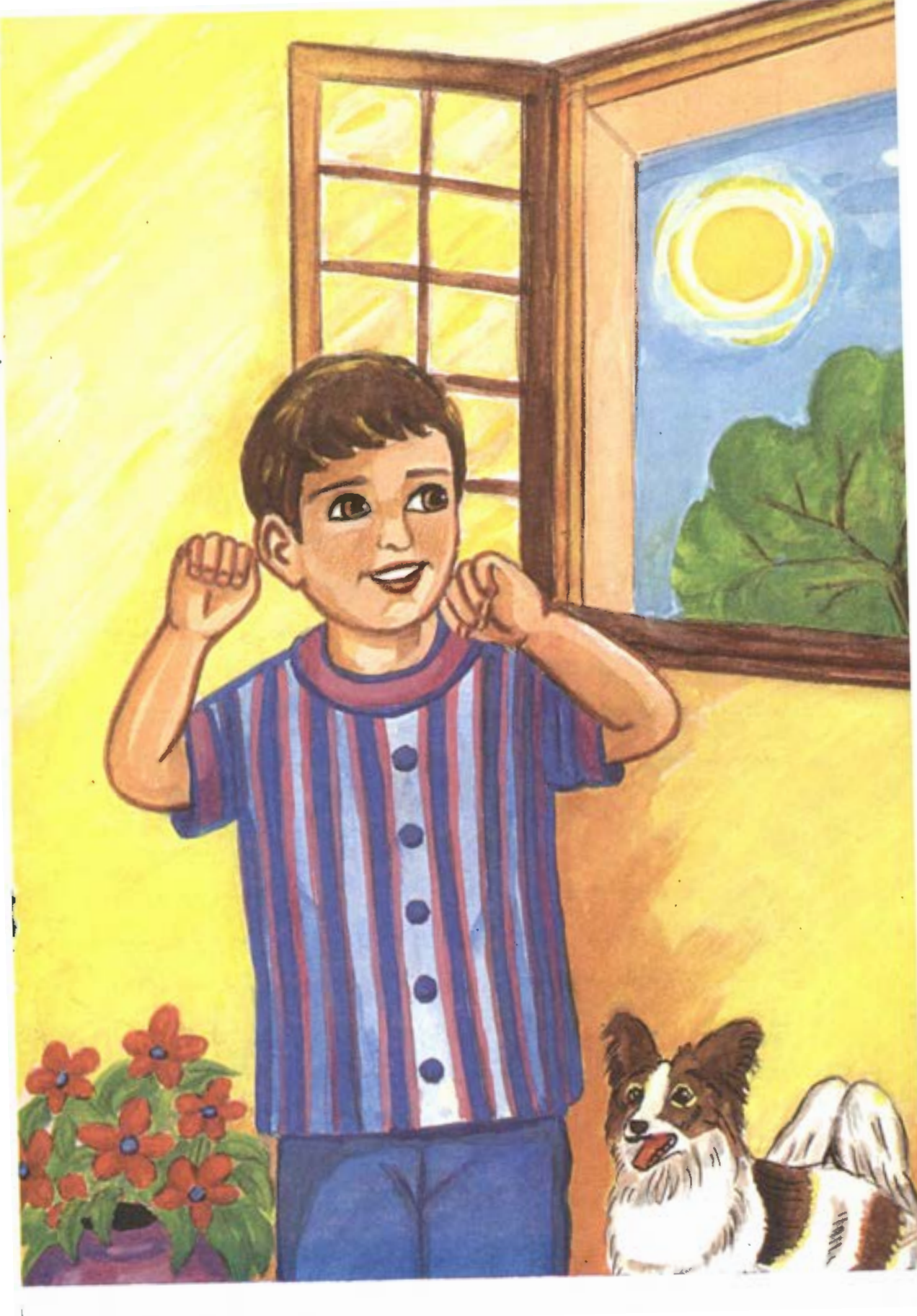

جلسَ علاء إلىَ مكتبه بالبيْتِ، ووضعَ أوراقَه البيضاء ومعها القَلمُ وراحَ يفكر.. وأمسكَ بالقلَم لِيخُطَّ العبارةَ التى نقلناهَا عنْه، وتصدَّرَتِ القصَّة.. وبعد أنْ كتبهَا وضَع القَلَمَ، وأخَذَ نفسًا عميقًا، وقامَ منْ مكَانِه للنَّافذَةِ، يشْعُر ببعْض الارتيـاح.. نَعَم، لِماذَا «يستَنِدُ» علَى الآخَرين وإليْهم؟ لَماذا لاَ يكونُ هوَ نفْسُه شجرةً (سنْديانَة) أى بلوُّطٍ قَوية ضخْمَة، عميقةِ الجُذُور، ممتدَّةِ الفرُوع، تظَلل مساحَة عريضَةً منَ الأرض، وتصلُح لكَىْ تعشِّشَ مِنْ فوقِها الطيورُ وتْبنِى بيوُتهَا التى تأْوى إليهَا؟!.. لماذَا يقْبلُ علَى نفْسِه أن يتَسلَّقَ الآخَرين، ويكْبَرَ علَى حِسابهم، بلْ وأيضًا يقتاتَ مِنْهم، ويعيشَ عالةً عليْهم؟!..

عادَ علاءٌ إلىَ مكَتبه وَراحَ يسجِّلُ هذِه الخوَاطَر ويكتبُ هذِه الأفكارَ فِى حمَاسةٍ منقَطِعَةِ النظير، ومَا أن أنتهَى منْ ذَلِك حتَّى أحسَّ أنَّ صخرةً كانت تزْقُدُ فوقَ صدْره، وأنه اسْتَطاعَ أنْ يزيحَها، وبدَأتْ أنفَاسُه تَنتَظِمُ، وألقَى بنفسِه بعْدَ ذلكَ فِى فراشِه مجهدًا مكدودًا بل ومهدمًا.. وقامَ فى الصباح، وهو يُحِس بنفْسِه إنسانًا آخرَ..

حَمل علاءٌ كراسَةَ التعْبير ليضَعَها بيْن كرَّاساتِ زُملاَئِه.. وعندَما راحَ الأستاذُ عبدُ الوهابِ يقرأ موضُوعاتِ الطلاَّبِ انْبهَرَ بواحدَةٍ منَ الكرَّاسَاتِ، وكانَ انبهارهُ أشدَّ وهُو يقلِّبُ الكراسَةَ ليعْرِفَ اسْمَ صَاحِبَها، وَإذَا بهَا مُفاجَأة ضخْمَة.. وفى الحصَّةِ التَّالِيةِ قرأ الأستاذُ علىَ الطلاَّبِ موضُوع علاءٍ دونَ أنْ يذْكُرَ اسمَه.. لكن أدرَكه الطلابُ أثناءَ تِلاَوتِه..

وعنْدمَا انْتهَى الأستاذُ بنه صفَّق الجَمِيعُ بحرارةٍ فيما عدَا واحدًا منهم لا حاجةَ بنا إلىَ أنْ نذكُر اسمَ هذَا الَّذِى لمْ يصفِّق، كما أننَا لسنَا فى حاجةٍ إلىَ أنْ نقُولَ إنَّ الصِّفةَ واللَّقَبَ والكَلِمةَ المضَافةَ إلىَ اسُمِه انتهت وسقطَت كلُّهَا.. أصْبَحَ «علاءُ» السنديانةَ!..

صديق بالمراسلة من كوكب آخر

أول أبريل ٢٠٠١م.

عَزِيزى «أوج».

السَّلاَمُ عليْكمُ وَرحمَةُ الله وَبَركَاتُهُ.. وَبعْد.

فقَد قرأتُ اسمَكَ وعرفْتُ عنوانَك مِن مَجَلة «العَوالِم الوَاسِعَةِ»، وقَدْ ذَكرَتِ المَجلَّة أنَّكُ ترْغَبُ فِى المرَاسَلَةِ معَ شخْص يعِيشُ عَلى كَوكَبِ ٱلأَرض.. وأنا - كمَا يمكن أنْ تسْتنتجَ مِن اسْمِى - بنْت، ولَمْ أستطعْ أنْ أعْرفَ مِن اسْمِكَ هَلْ أنْتَ ولَدٌ أمْ بِنْتٌ.. عُمرى ثَمَان سنَوَاتٍ.. وَفِى السَّنةِ الثَّانيَةِ الابْتِدَائيَّةِ عنْدِى أخٌ وقِطَّةٌ، وفقدْتُ أربَعةً مِنْ أسنَانِى اللَّبنِيَّةِ. مُدَرِّستِى السَّيدةُ (زَيْنَب) تقولُ إنَّ خطابى هذا سوْفَ يَصِلُ إلَى (أسْتِرا) كَوكَبِكُم بعْدَ أسْبوُع وَاحدٍ، وكَانَ يحتَاجُ فِى المَاضِى إلَى أربَع سنَواتٍ، وَما كَانَ مِنَ الممكِن يوْمَئِذٍ أنْ نتراسَلَ..

أرجُوكَ أنْ تكتُبَ إلىَّ.. ثُمَّ: هلْ أسْتَطِيعُ أنْ أرَى كَوْكَبكُمْ مِنْ أرضِنَا بعيْنِى المُجرَّدة؟..

فِى انتظَارِ خِطَابٍ منْكَ وأرجُو أن يحتوى علىَ صُورَةٍ لكَ..

والسَّلاَم عَليْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وَبَركَاتُهُ،،

سامية صلاح الدين

العنوان: شارع جامعة الدول العربية

القاهرة - جمهورية مصر العربية

٨ أبريل ٢٠٠١م.

عَزيزتى سَامية:

وعَليْكم السَّلامُ ورحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ.. وَبعْد..

فقَد وصَلَتْنى رسَالَتُكِ.. قَطَعتِ المسَافةَ فِى أسْبُوعٍ، فِعْلاً. إنَّها أوَّلُ رسَالَةٍ أتلقَّاهَا من كَوْكَبِ ٱلأَرض.. أنَا وَلَدٌ، ذَكَرٌ، كمَا يبدُو مِنَ الشَّارةِ التَّى بعْدَ اسْمِى (XY) والبِنْتُ يُشَارُ لَهَا (XX).. وعُمْرِى أربعُ سنَواتٍ.. لَكِن السنينَ عنْدنَا أطْوَلُ منهَا عنْدَكُمْ لذَلِكَ فَأنَا فِى نفْس عُمْرُكِ تقْريبًا.. كَوكَبُنَا (اسْتِرا) مثْلُ ٱلأَرْض: سَماؤُه زرَقاءُ أرضُنَا سمَراءُ وخَضْرَاءُ مثل أرْضِكُمْ. ليْسَ عندَنَا قَمَرٌ.. لَكِنَّ هنَاكَ شمسَيْن: وَاحِدَةٌ تَخْتَفى لِتظْهَرَ الأخْرى.. لِذَلِكَ فاللَّيْلُ عِندَنَا قَصِيرٌ جدًّا، لاَ يتجَاوزُ السَّاعتَيْن.. والجوُّ شَدِيدُ الحرَارَةِ، لِهَذَا نَعِيشُ تحْتَ سَطحِ التُّربةِ فِى كوكَبِنَا ولاَ نخْرُجَ إلاَّ عِندَمَا تَغِيبُ الشَّمْسَان، أوْ عنْدَمَا يسْقُطُ المطَرُ.. وأنْتِ لاَ تَسْتَطِيعِينَ أنْ تَرى كَوكَبَنَا، ولاَ أنَا أقْدِرُ عَلَى رُؤْيَةِ كَوكَبِكُمْ، لَكِنَّنِى سأَشْرَحُ لَكِ أيْنَ نَحْنُ.. انْظُرِى إلَى «الْمَجَرَّةِ»، هنَاكَ نَجْمتَانِ صَغِيرَتَان، بِجَانِبِ بَعْضِهما.. إنَّهَما الشَّمسَانِ اللَّتَانِ تسْطَعَانِ علَى كَوكَبِنَا، وهُو قَرِيبٌ منْهمَا.. وأبْعَثُ إلَيْكِ معَ خِطَابِى بِصُورَةٍ لِى.. هِىَ قَدِيمَة إلَى حدٍّ مَا، لأَنِّى أصْبحْتُ أكْبَرَ مِمَّا أبدُو فِيهَا.. تلاَحِظِينَ فِى الصُّورَةِ أنَّنِى كنْتُ (أخْضَرَ) وَأنَا الآنَ (أزْرَقُ).. نَحْنُ نُغَيِّر ألوانَنَا..

قلْتِ فِى رسَالَتِك إنَّكِ فقَدْتِ أرْبَعَةَ أسنَانٍ، مَا هِىَ الأَسنَانُ بالضَّبْطِ؟ وكيْفَ تَفقِدُونَهَا؟..

والسَّلامُ علَيْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وبرَكَاتُه،

صَدِيقُكِ بالمرَاسلَةِ: أوج

العنوان: بلوك (أو مجموعة منازل) رقم ٦٥٤٣٧٨٩٠٢٢٣.

كوكب استرا – المجرة (درب اللبانة)

عَزيزى أُوج:

والسَّلاَمُ عَليْكم ورحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ.. وَبعْد..

فقَد وصَلَتْ رسَالَتُكَ، وأخذتُهَا مَعِى إلَى المَدْرَسَةِ، وشَاهَدَهَا أصْحَابى، وكُلُّ التِّلْمِيذَاتِ والتَّلاَمِيذِ فِى الفصْل، وهمُ يسْألُونَكَ: كيْفَ تُغَيِّرُونَ ألوانَكُم؟ ومَا هذَا الَّذِى تحمِلُه فَوقَ ظَهْرِكَ فِى الصُّورَةِ؟ أهُو صَارُوخٌ؟ ثم.. هل لَك أبٌ وأمٌّ؟ هَلْ عِندَكُمْ حيَوَانَاتٌ مسْتَأنسَةٌ تُربُّونَهَا؟ وهَلْ يذْهَبُ أطْفَالُ كوكَبِ (أسْترا) إلَى المدْرَسَةِ؟.. إنَّ أصْحَابى يَقُولُونَ: إنَّهُ لاَبُدَّ وأنْ يكُونَ لَكُم أسْنَانٌ، وَإلاَّ كيفَ تَأكُلُونَ؟..

فِى انتظار الردِّ سَرِيعًا، أرجُوكَ..

والسَّلاَمُ عَليْكم ورحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ،

سامية صلاح الدين

عَزيزتى سَامِيَة:

والسَّلاَمُ عَليْكم ورحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ.. وَبعْد..

صورتُكِ ظَرِيفةٌ. وجْهُكِ باسمٌ سَعِيدٌ. هَل الأسْنَان هِىَ ذَلِكَ الشَّىء الأبيَضُ الَّذِى كَشَفَتْ عنْهَ ابتسَامَتُكِ؟ هلْ ذَلِكَ الفراغُ نَاتجٌ عنْ تلْكَ الأسْنَان الَّتى فَقَدْتِهاَ؟ أرْجُو أنْ تكوُنِى قدْ عثَرْتِ علَيْهَا.. نحْنُ نأكُلُ أشْيَاءَ طازَجَةً طَرية مِثل المَعْجُون لِذَلِك لاَ نحتَاجُ إلَى الأسْنَان.. ونَزْرعُ نبَاتاتٍ نأْكُلُهَا، وَبعْضُهَا مُتوحِّشٌ يأكُلُنَا.. وَنَبَاتَاتُنَا ألوانُها مخْتَلِفَةٍ، مُتَنوعةٌ، وإذَا أكلْتُ (ازْرقَ) كَثيرًا، صِرتُ ازْرَقَ، ومِنَ المُمْكِن أنْ أبعَثَ إلَيْكِ ببَعْض مِنْ نبَاتَاتِنَا إذَا فَكّرتُم فِى تغْيير ألوانِكُمْ، مِثْلَنَا، أنَا لاَ أذْهَبُ إلَى المدْرَسَةِ ولكن أُمى وَأبى يذهَبانِ إلَيْهَا، أمَّا الصِّغَارُ مِثلَنَا فَإنَّهم

يَبْقَونَ فِي البيْتِ لِيلْعَبُوا.. وَما فَوْقَ ظَهْرِى صَارُوخٌ فِعْلاً، لأننَّا فِى أسْتِرَا لاَ نمْشِى علَى أقْدَامِنَا، بَلْ نَطِيرُ.. وليْسَ عندَنَا حَيوَانَاتٌ علَى الإطْلاَق، لاَ مُسْتأنَسَةٌ ولاَ غيرُ مسْتَأنَسةٍ.. لَكنْ عنْدَنَا نَبَاتٌ مسْتَأنَسٌ، وَأنَا شَخْصِيًّا عِنْدِى ثُعْبَانٌ نَبَاتِىٌّ أسْقِيهِ وأرْعَاهُ، وهُوَ يعْرِفُنِى جَيدا..

هَلْ قرأتَ مَجلَّةَ «العَوالِم الوَاسِعَةِ» هذَا الأسْبُوع؟.. إنَّهَا تُجْرِى مسَابقَةً جَائِزَتُهَا رحْلَةٌ عبْر الْفَضَاءِ بيْنَ الكَواكِبِ.. إنى سَأُشَارِكُ فِى المُسَابَقَةِ وَإذَا فزْتُ سَأزُورُ الأَرْضَ.

والسَّلاَمُ عَليْكم ورحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ..

أوج

ملاحظة: نَصَحَنى أبى ألاَّ أرسِلَ نَبَاتَاتٍ إلَى كَوكَبِ الأَرْضِ خوفًا منْ أنْ تُسَبِبَ لَكُمُ الأَمْرَاضَ.

ملاحظة أخرى: صَديقِى زَاك يقُول إنَّ النَّاسَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ عَلَى الأَرْضِ حَيَواناتٌ كَبيرةٌ.. أليْسَ ذَلِكَ مضْحِكًا؟ يقُولُ إنَّه قَرأ هَذَا فِى كِتَابٍ!..

عَزِيزى أوج:

السَّلاَمُ عليكُمْ ورحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ.. وَبعْد..

قَرأتُ مجلَّة (العَوالِم الوَاسِعَة) واشتركْتُ فِى المسَابقَةِ، لِكَىْ أزُوركمُ، وأطِير بالصَّارُوخِ الَّذِى تحْمِله فوْقَ ظَهرِكَ، وأرى النَّبَاتَاتِ المُتوحِّشَةَ، ولاَ أذْهَبُ إلى كوكَبِ آخَر، هذَا سِرٌّ بيْنِى وبيْنكَ، احْذَرْ أنْ يصِلَ إلَى سْمع السَّيدَةِ زينَب

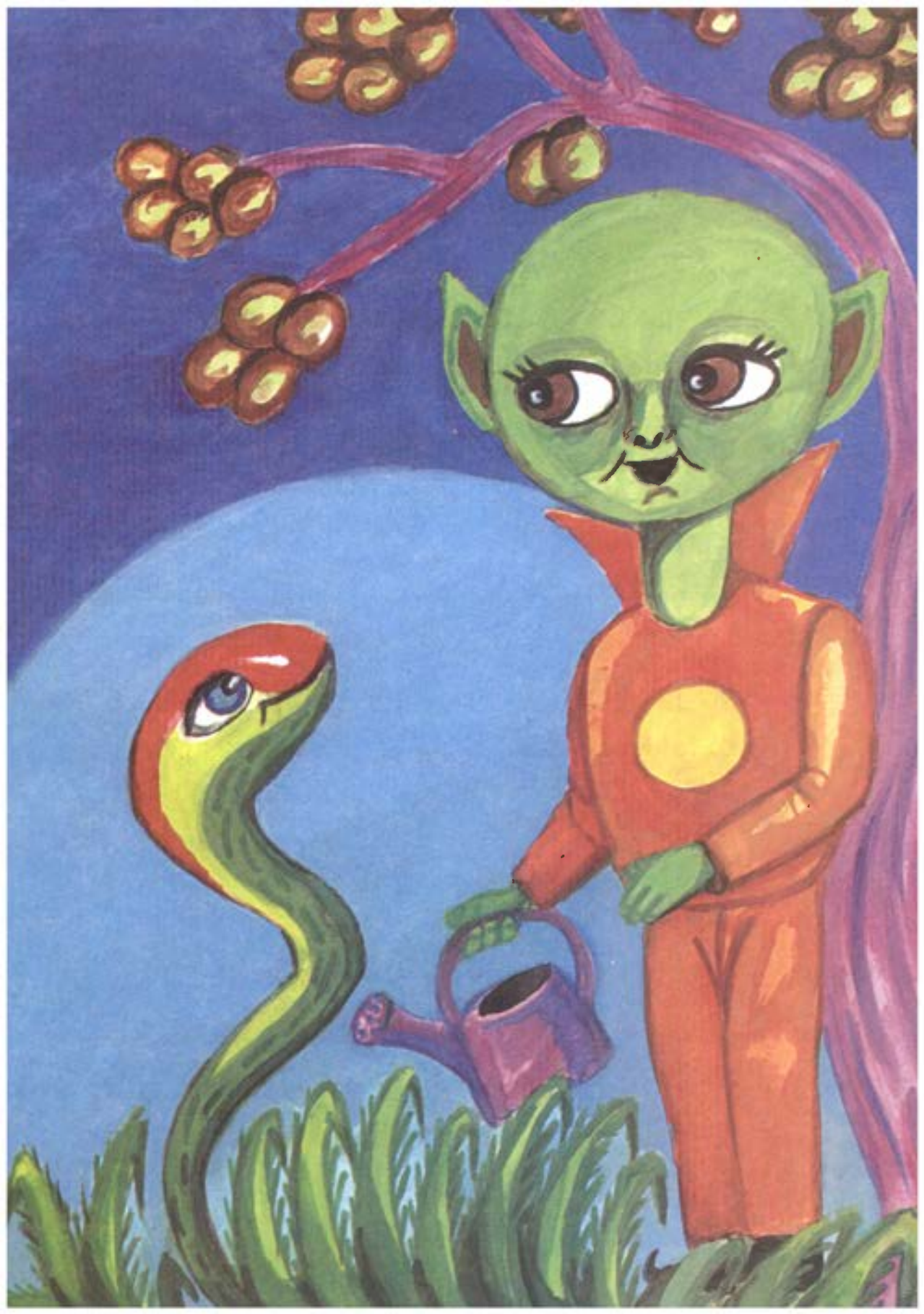

مُعَلِّمتِي، أمِّي تقُولُ لَكَ: إذَا فزْتَ أنتَ فِي المُسَابقَةِ، وجئْتَ إلَى كوكَبِ الأَرْضِ نَسْتَضِيفُكَ فِي بيتِنا.

والسَّلاَم،

سامية

ملاحظة: مَا يقُولهُ صَدِيقُكَ هذَا مُضْحِكٌ حقًّا مَا هذِه الكُتُبُ الَّتِي يَقْرَؤُهَا؟.

عزيزتَي سَامْية:

السَّلامُ عليْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ..

وقَع عنْدَنَا أخِيرًا حَادِثٌ هَامٌ.. منْذُ عِدَّةِ أيَّامٍ رَأيْنَا «المُذنَّب».. هَلْ عندَكُمْ نَجْمَةٌ لهَا ذَيْلٌ كمَا عِنْدَنَا؟.. كَانَتْ أشْبَه بصَارُوخٍ، أوْ كُرة مِنَ النَّار.. والْحقِيقَةُ أنَّهَا مَزِيجٌ مِنَ الصَّخْرِ، والثَّلْجِ أو الغَازَاتِ.. لمْ يحْدُثْ أنْ رأينَا مِنْ قَبلُ شَيئًا مِثلَ هذَا. أرْسِل إليْكَ صُورَتَهُ. اسمُهُ المذَنَّبُ مَارَا < لأنَّ أولَ مَنْ رآهُ هِي: مَارَا لِذَلِك سَمَّيْنَاهُ باسْمِهَا. هَذِه الصُّورةُ نشَرتْهَا صَحِيفَتنَا «شَمْسُ الصَّبَاحِ».. زَاك صَدِيقِي يَقُول: إنَّ المذَنَّبَ لَهُ ذَيلٌ طولهُ خَمْسُون مِلْيُون كِيلُو مِتْر!..

والسَّلامُ عليْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ..

أوج

ملاحظة: زَاك أرَانِي الكِتَابَ الَّذِي كتبْتُ لكَ عنْهُ والَّذِي يقُول: إنَّ سُكانَ الأَرْضِ عَمالِقَةٌ.. كَمْ طُولُكَ؟!..

عزيزى أوج:

السَّلامُ عليْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ..

شُكرًا علَى إرسَالِكَ صُورَةَ المُذَنَّبِ. نشَرْنَاهَا فِى صَحِيفَةِ المدْرَسَةِ وَننشُر صُورَةَ المذَنَّبِ أحْيَانًا. قلْ لِصَاحِبِكَ زَاك إنِّى لسْتُ عملاَقَةً.. طُولِى لاَ يزِيُد علَى أرْبَعَةِ أقْدَامٍ، وَلَيْسَ أكثَرَ..

السَّلامُ عليْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ..

سامية

ملاحظة: لِماذَا لمْ تَعُد تْكتُبُ رسَائِلَكَ إلىَّ؟ منْذُ ثَلاَثَةِ أسَابيعَ لم يصِلْنِى منْكَ شَىءٌ هَلْ أنْتَ مَريضٌ؟..

وملاحظة أخرى: قريبًا سوف يُعلِنُون نَتِيجَةَ المُسَابَقَةِ فِى مجلَّةِ (العَوالِم الوَاسِعَةِ)..

عزيزتى سَامية:

السَّلامُ عليْكُم ورَحْمَةُ اللهِ وبَركَاتُهُ..

فقَد كَسبْتُ المسَابَقَةَ، لَكِنَّنِى معَ ٱلأَسَفِ لَنْ آتىَ لِزِيارَةِ كَوكَبِ الأَرْضِ تَصَوَّرى: تقُولِينَ إنَّ طولَكِ أربْعَةُ أقْدَامٍ، طُولِى أنا لاَ يَزِيد علَى سِتِّ بُوصَاتٍ (نِصْفُ طُول المسْطَرَةِ العَادِيَّةِ).. ثمَّ إنَّنِى لاَ أشْبهُكِ فِى شىءٍ لوْ جِئْت لِزِيَارتكُم سَوْف تضْحَكُونَ كثيرًا عَلَىَّ.. وربما يَطَؤُنِى أحَدٌ بأقْدامِهِ، إذ أنِّى لاَ أكَادُ أُرَى.. ثُمَّ: ماذَا لوْ أحَدُهُم عطَسَ فِى وجْهِى؟.. سَوْفَ أطِيرُ لمسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ وأصْطَدِمُ بشىءٍ يَقْتُلُنِى أو يُدِيرُ رأسِى!..

لا.. لا.. لن أحضر سوف أذهب إلى القمر..

أوج الحزين

عَزيزى أوج..

السَّلاَم عليْكُمْ..

كيفَ كَان لِى أنْ أعرف هذَا الَّذِى ذكرتَه فِى رسَالَتِك ٱلأخِيرةِ، لمَ أستطِعْ قَطُّ أنْ أسْتَنتِجَ هذَا مِنْ صُوَرِكَ.. لَكِن يَجِبُ ألاَّ يُزْعِجَكَ قِصَرُكَ.. فِى كَواكِب أخْرَى رُبمَا تكوُنُ هَنَاكَ مخلُوقَات أصْغَرُ مِنْكَ، وأنْتَ بالنّسَبةِ لهُم عِمْلاَقٌ.. وَفِى كَواكِبَ ثَالِثةٍ أوْ رابعَةٍ ربمَا يَكُونُ هنَاكَ عَمالِقة أكبرُ مِنَّا نَحْنُ سُكَّان كوكَبِ ٱلأرْض.. مَن يَدْرِى؟!.. ثمَّ إنَ «الكَبِيرَ» و«الصَّغِيرَ» مُجَرَّد كَلِمات وَصِفاتٍ نقُولُ عنْـهَا إنَّـهَا «نِسْبِيَّةٌ».. وَرَغْمَ ذَلِكَ تَظَلُّ صَدِيقِى.. لاَبدَّ أنْ تأْتِى.. أرْجُوكَ.. سَنُعِدُّ لـكَ بيتًـا وَمكَانًا صَغِيرًا، لكَ وْحدَكَ.. وستكُونُ مقَاعِدُه ومنَاضِدُهُ وكُلُّ شىءٍ فِيـه منَاسِبًا.. أمِّى تُفكِّر لَيْلَ نَهَار: «ماذَا سَنَطْبُخُ لَكَ»؟.. سوفَ تأْكُلُ الطَّماطِمَ فَتُصبحُ أحْمَرَ، والبُرتُقالَ لِتكُونَ أصْفَرَ، وسَنُشَاهِدُ كيفَ تَغـيَّر لوْنُـكَ.. وسـوْفَ آخـذُكَ مَعِـى إلَى المدْرَسَةِ ولكِنَّنِى سَأضَعُكَ فِى جَيْبِى، لأحَافظَ عليْكَ.. وسَنَتَعلَّمُ مِنْك أشيَاءَ كثـيرةً مِثْل: كيْفَ تَطيرُ؟.. إننَّا نُريدُك أنْ تأْتى.. نَرجُوكَ.. منْ قَال إنَّ كُلَّ المخلوقَاتِ التى خَلقَهَا اللهُ سبحَانهَ وتَعَالَى لاَبدَّ وأنْ تتشابه؟!..

لَقَدْ خُلِقنا علىَ الصُّورَةِ الَّتِى أرادَهَا وَوفْقَ مَشِيئَتِه سُبحَانَهُ..

سامية

عَزِيزَتِى سَامِيَة:

السَّلاَمُ عليْكُمْ..

لَقَد اقتنعْتُ بكَلاَمكَ.. سوفَ أحضُر.. سَأكوُنُ فِى الصَّاروخ رَقم ٢٠٤ يقُوم مِنْ عِندِنَا يوْمَ الجُمُعَة – بعد الصلاة – هلَ يُمْكِنُكِ انْتِظَارى؟..أرْجُو أن تَنْجَحِى فِى العُثُور عَلىّ.. ابحثِى عَنْ ولدٍ صَغِير طُولُه سِتُّ بُوصَاتٍ. لونـى الآن بَنفْسجى. وَأنا سوفَ أبحثُ عن فَتَاةٍ عِملاَقةٍ طُولهَا أربَعَةُ أقْدَامٍ. سقَطَتْ مِنْهَا أربَعَةُ أسْنَانٍ (هَاهَا !) أراكِ عنْ قَرِيبٍ إنْ شَاءَ اللهُ..

والسَّلاَمُ عَليكُمْ،،

أوج

وانْتَهَتِ الرسَائِلُ المُتَبادَلَـةُ بيْـنَ سَامِية مِـنْ كوكَـبِ الأرض وأوج مِـنْ كَوكَـبِ أسْتِرا.. رسَائل جَمِيلَة تُثيرُ الخَيَالَ، وَتُضِيـف الكثيرَ إلى معلُومَاتِنَـا عَـنِ الكَـوْنِ الكَبيرِ الَّذِى أبْدَعَهُ اللهُ سبْحَانَهُ وَتَعَالَى..

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ
بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ
ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴾

صَدقَ اللهُ الْعَظِيمُ

(سورة البقرة آية ١٦٤)

فهرس

أنت كم تساوى ٣
اللبلابة والسنديانة ٩
صديق بالمراسلة ١٦

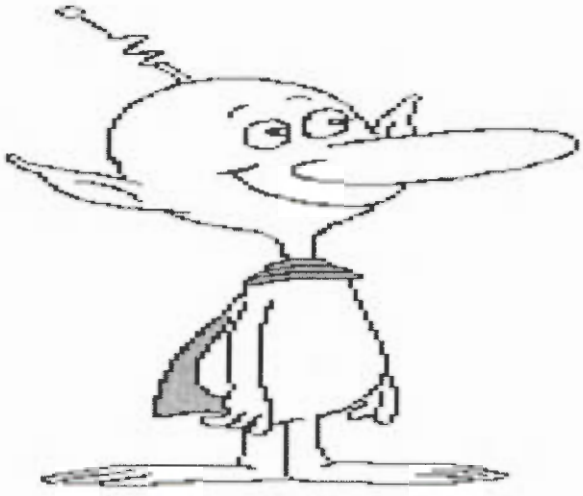

رقم الإيداع	١٩٩٩/٤٢٥٨
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5779-6

٧/٩٨/٦٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)